برابير پوركاياستا*: تتويج تشارلز الثالث: التذكير بتاريخ بريطانيا الدموي للإبادة الجماعية والعبودية والنهب

ترجمة: مصباح كمال**

نشر النص الإنجليزي للمقال في موقع:
https://mronline.org/2023/05/16/charles-iii-coronation-reminds-of-britains-bloody-history-of-genocide-slavery-and-loot/
Originally published: NewsClick.in on May 15, 2023

في 6 مايو/أيار، تُوج تشارلز الثالث ملكًا على المملكة المتحدة بعد غروب الشمس بشكل حاسم على الإمبراطورية البريطانية. ذكّرنا الحفل مرة أخرى بعلاقة التاج البريطاني بالنهب الاستعماري وتجارة الرقيق،[1] وهي الأسس التي قامت عليها الإمبراطورية البريطانية. لم يكن الملوك البريطانيون فقط الرؤساء الفخريون للإمبراطورية: فالشركة الأفريقية الملكية،[2] التي احتكرت إمداد الأمريكتين بالعبيد، كانت ملكية مباشرة للتاج البريطاني وكان يديرها شقيق الملك دوق يورك. انتهى الاحتكار الملكي عندما أراد أنصار "التجارة الحرة" البريطانيين، وتجار لندن ومانشستر وغيرهم من تجار المدن، نصيبهم من هذه التجارة المربحة.[3]

لماذا أكتب عن دور إنجلترا في تجارة الرقيق بعد انقضاء ثلاثمائة عام عليها في عمود العلوم والتنمية اليوم؟ الجواب هو أننا تعلمنا تاريخًا مختلفًا للعالم عما حدث بالفعل. دعونا نقرأ أساطير الغرب التي تُمرر كتاريخ. الأول، هو عصر الاكتشاف. تبعه عصر التنوير أو العقل. ثم الثورة العلمية والتكنولوجية التي أدت إلى العالم الحديث. لا

[1] Gerald Horne, "The Apocalypse of Settler Colonialism" Monthly Review | The Apocalypse of Settler Colonialism
[2] William A. Pettigrew, "Freedom's Debt: The Royal African Company and the Politics of the Atlantic Slave Trade, 1672-1752" Freedom's Debt | William A. Pettigrew | University of North Carolina Press (uncpress.org)
[3] Gerald Horne, "The Dawning of the Apocalypse: The Roots of Slavery, White Supremacy, Settler Colonialism, and Capitalism in the Long Sixteenth Century" Monthly Review | The Dawning of the Apocalypse: The Roots of Slavery, White Supremacy, Settler Colonialism, and Capitalism in the Long Sixteenth Century

يوجد في هذا التاريخ ذكر للإبادة الجماعية والعبودية الحديثة ونهب المستعمرات في قصة الاكتشاف والتنوير والتصنيع هذه.

وبحسب المؤرخين الغربيين، فإن أحداثًا مؤسفة رافقت صعود الغرب، لكن هذه ليست القصة الرئيسية لدى هؤلاء المؤرخين بل هي قصة صعود العقل والعلم، وهما من احتكارات العقل الغربي!

لماذا يسمي الغرب رحلات كولومبوس وفاسكو دا جاما إلى الأمريكتين والهند "اكتشافات" "discoveries"؟ في حين كانت قارة الأمريكتين مليئة بالسكان في الوقت الذي وصل فيه كولومبوس إلى جزيرة هايتي، التي أطلق عليها اسم سان دومينغو. كما أن التجارة الآسيوية مع أوروبا تمتد إلى العصر الروماني، فلماذا يُفترض أن هؤلاء المستكشفين explorers "يكتشفون" هذه الأماكن؟

يكمن سبب تسميتها اكتشافًا discovery وليس بحثًا استكشافيًا exploration في الادعاء بأن جميع الأراضي الوثنية "المكتشفة" من قبل المستكشفين يمكن الاستيلاء عليها باسم الكنيسة والملك. جاء ذلك بعد معاهدة كورديسيلاس Cordesillas في عام 1494، والتي تم فيها تقسيم العالم غير الأوروبي (غير المسيحي) بأكمله بين إسبانيا والبرتغال. كانت الأعلام التي حملها "المستكشفون" "explorers" تمثل ملكهم والكنيسة. مُنح سكان هذه الأراضي "الوثنيون" الحق في التحول إلى المسيحية، وهو حق يُقرأ عليهم بلغة لم يفهموها. إذا لم يوافقوا على التحول بموافقتهم الإيجابية، على الأرجح إعلان الموافقة بالإسبانية أو البرتغالية، فإنهم يفقدون الحق في أراضيهم وحريتهم وحياتهم. لقد اعتُبر غير المسيحيين أنهم بلا روح وليس لهم أي حقوق! لم تكن الإبادة الجماعية لغير المؤمنين جريمة في نظر الله، بحسب الكنيسة آنذاك.

لئلا نعتقد أن هذا كان انحرافًا تاريخيًا، ففي عام 1823—بعد أكثر من 300 عام— أيدت المحكمة العليا للولايات المتحدة نفس مبدأ الاكتشاف "discovery".[4] وذكرت أن "الاكتشاف" يليه "الحيازة"—نزع ملكية الشعوب الأصلية—وهو ما أعطى القوى الأوروبية **حقًا شرعيًا** في هذه الأراضي!

[4] Miller, Robert J., "The Doctrine of Discovery: The International Law of Colonialism" The Doctrine of Discovery: The International Law of Colonialism (escholarship.org)

إذا قرأت التاريخ الاقتصادي للعالم[5] المكتوب من قبل الأيديولوجيين الغربيين، فإن تجارة الرقيق من إفريقيا، والإبادة الجماعية في الأمريكتين، والنهب الذي صاحب عصر الاكتشاف ليس سبب صعود الغرب. إذ يبدو أن هذا الصعود يُنسب للثورة الصناعية، التي تعود جذورها إلى عصر العقل، والتي أدت إلى ظهور العلم الحديث والمحرك البخاري.[6] إن الثورة الصناعية—مصانع النسيج التي تعمل بمحرك بخاري—هي التي تميز الغرب عن الآخرين. الغرب هنا هو الكيان المتجانس لجميع القوى الاستعمارية في أوروبا، المرتبطة بالدولة الاستعمارية الاستيطانية للولايات المتحدة.

وبذلك يصبح السعي في البحث الإجابة عن سؤال سبب حدوث الثورة الصناعية في بريطانيا العظمى والتباين الكبير[7] بين الغرب وبقية العالم بعد ذلك.

يخلق هذا التحقيب قسمين أنيقين من التاريخ الاستعماري. الأول، يسمى المرحلة "التجارية" لرأس المال الحديث المؤدية إلى التكامل الاقتصادي للعالم. إن تسميتها بـ Mercantile تساعد في تخليصها من الرائحة الكريهة للإبادة الجماعية في الأمريكتين، وتجارة الرقيق من إفريقيا[8] والعبودية الحديثة لمزارع السكر والقطن. الثاني، هو المرحلة الصناعية. فبفضل الثورة العلمية والتكنولوجية، تفوق الغرب بسرعة على الاقتصادات القديمة مثل الصين والهند، مما أدى إلى تدمير قوتهما الاقتصادية.

في حين أن اقتصاد المزارع plantation economy في منطقة البحر الكاريبي والأمريكتين لم يقتصر على السكر، لكن السكر كان بلا شك السلعة الرئيسية والسلعة الأكبر في التجارة العالمية. لم تكن الاستثمارات الرأسمالية الرئيسية لمزارع السكر هي الأرض والمصنع والآلات ولكن القيمة النقدية للعبيد. فقد قام أصحاب المزارع بحساب عددهم وعمرهم وجنسهم بعناية، وبالتالي قدرتهم الإنتاجية وتكاليف "التشغيل"،

[5] Robert C. Allen, "Global Economic History: A Very Short Introduction Get access Arrow" Global Economic History: A Very Short Introduction | Oxford Academic (oup.com)

[6] Mark Cartwright, "The Steam Engine in the British Industrial Revolution" The Steam Engine in the British Industrial Revolution - World History Encyclopedia

[7] Kenneth Pomeranz, *The Great Divergence: China, Europe, and the Making of the Modern World Economy*, https://press.princeton.edu/books/paperback/9780691217185/the-great-divergence

راجع عرض لهذا الكتاب في موقع شبكة الاقتصاديين العراقيين.

[8] Eric Williams, *Capitalism and Slavery*, Third Edition, Third Edition, Capitalism and Slavery, Third Edition | Eric Williams | University of North Carolina Press (uncpress.org)

تمامًا مثلما يقوم مالك المصنع بجرد معداته الرأسمالية. كما كانوا يقدمون العبيد كضمان للبنوك للحصول على قروض، على غرار تعهد مالكي المصانع اليوم بعرض سلعهم الرأسمالية كضمان. لقد قدمت القروض المصرفية المضمونة بالعبيد جزءًا كبيرًا من رأس المال العامل لأصحاب المزارع.

بينما كان العبيد في المزارع يُعتبرون معادلين للآلات، كان يُنظر إلى العبيد أنفسهم على أنهم سلع. إن وحشية تجارة الرقيق والظروف اللاإنسانية التي تم فيها حجرهم ونقلهم قبل إنزالهم من السفن وبيعهم هي قصة أخرى. ما "ينساه" المؤرخون الاقتصاديون عند الحديث عن هذه الفترة التجارية هو أن الشحن، والخدمات المصرفية والتأمين[9] في تجارة الرقيق أنتجت توسعًا هائلاً في رأس المال المالي. وهذا هو رأس المال الذي يحرك الثورة الصناعية.

لقد ساعدت التعويضات المدفوعة لمالكي العبيد على هذا التوسع في رأس المال المالي بشكل كبير عندما ألغت بريطانيا العبودية. فقد جمعت الحكومة البريطانية 20 مليون جنيه إسترليني من خلال إصدار السندات لتعويض مالكي العبيد، والتي كانت تمثل 40% من الدخل السنوي للحكومة البريطانية. ومن المثير للاهتمام، أنه بينما تم إلغاء العبودية في بريطانيا كنظام غير إنساني، فإن ***مالكي العبيد هم الذين تم تعويضهم وليس العبيد***. بدلاً من ذلك، كان على العبيد أن يخدموا ست سنوات إضافية كـ "متدربين" قبل أن يتم تحريرهم وذلك لمساعدة مالك العبيد على الانتقال إلى العمل المأجور وليس كعمال مستعبدين في مزارعه. في المستعمرات البريطانية، كان العمل "بالسخرة" المستورد من الهند، بشروط يمكن وصفها بالرق اليوم، هو الذي حل محل عمل العبيد في المستعمرات البريطانية في منطقة البحر الكاريبي.

قصة المحرك البخاري كونه نتاج العلم والتكنولوجيا هي أسطورة أخرى. لقد كتبت عن محرك جيمس واط البخاري في وقت سابق في سياق براءات الاختراع وكيف أعاقت براءة اختراع واط المزيد من التطورات في المحرك البخاري. ما يهمنا هنا هو أنه بعيدًا عن كونه نتاجًا لعلم الديناميكا الحرارية كما يُقال، فقد ظهر المحرك البخاري كنتيجة لحاجة عمال مناجم الفحم في كورنوال [في بريطانيا] ولم يكن له علاقة تذكر

[9] للتعريف ببعض جوانب تأمين تجارة العبيد أنظر: مصباح كمال، "التأمين والعبودية: فصل بغيض في تاريخ التأمين الرأسمالي،" مجلة **الثقافة الجديدة**، العدد 398-399، تموز 2018. وكذلك موقع **شبكة الاقتصاديين العراقيين**:
مصباح كمال: التأمين والعبودية: فصل بغيض في تاريخ التأمين الرأسمالي – شبكة الاقتصاديين العراقيين (iraqieconomists.net)
Misbah-Kamal-Sordid-Chapter-in-the-History-of-Capitalist-Insurance-1.pdf (iraqieconomists.net)

بفهم علم الحرارة. كما أنه لم يؤد إلى توسع مصانع النسيج ويصبح المحرك للثورة الصناعية. لقد استخدمت مصانع النسيج الطاقة المائية بشكل جيد حتى بعد الفترة من 1750 إلى 1800، التي نسميها بالثورة الصناعية. ماكنة الغزل spinning jenny، والإطار المائي water frame [ماكنة الغزل في المصانع التي تعمل بالطاقة المائية]، والتطورات الأخرى كلها **تسبق** استخدام قوة البخار في صناعة المنسوجات. لقد حدثت التطورات الرئيسية في صناعة المنسوجات في إنجلترا مدعومة باستخدام المياه. في الفترة 1825-1835 فقط حلَّ المحرك البخاري محل عجلة المياه[10] water wheel كمصدر للطاقة في مصانع النسيج.

لقد تم تدمير صناعة النسيج الهندية على يد البريطانيين، الذين حكموا الهند أيضًا بموجب ميثاق ملكي Royal Charter. نعم، كان ميثاق شركة الهند الشرقية لاحتكار التجارة الهندية أيضًا من التاج البريطاني، على غرار ميثاق الشركة الأفريقية الملكية لاحتكار تجارة الرقيق في المحيط الأطلسي. كلاهما كانا مدعومين بالقوة المسلحة للتاج البريطاني، نفس التاج الذي ارتداه الملك تشارلز الثالث في تتويجه في حفل عمره 700 عام.[11] ربما تغيرت سلالة أو اثنتان [من الأسر الملكية] أو أعيدت تسميتهما في الأثناء؛ على أي حال، تبقى المؤسسة كما هي.

لقد كانت القوة الإمبريالية البريطانية هي التي دمرت صناعة النسيج في الهند، وحولتها إلى مستورد للسلع التامة الصنع ومصدر للقطن الخام. هذا هو ما يحول الهند من منتج رئيسي للسلع لأسواقها الداخلية والخارجية إلى دولة فقيرة تصدر الغذاء والمعادن إلى المملكة المتحدة. والأسوأ من ذلك، أصبحت الهند أيضًا مزارعًا ومورِّدًا قسريًا للأفيون، وهي البضائع الوحيدة التي يمكن للمملكة المتحدة توريدها إلى الصين. هذا هو نشأة حروب الأفيون وتحويل الصين إلى مستعمرة جديدة. لقد أدى هذا الاستنزاف الكولونيالي من الهند، وتجارة الأفيون مع الصين، ونهب المستعمرات الأخرى إلى تطور المملكة المتحدة والقوى الاستعمارية الأخرى، وليس نزعة الاكتشاف والتعطش للمعرفة.

[10] Andreas Malm, "The Origins of Fossil Capital: From Water to Steam in the British Cotton Industry," *Historical Materialism* 21.1 (2013) 15–68, HIMA_021_01_15-68.indd(uchicago.edu)
[11] K.J. Yossman, "Why Coronation Viewers Won't See King Charles III Anointed With 700-Year-Old Gold Spoon," King Charles Will Be Anointed With 700-Year-Old Gold Coronation Spoon - Variety

إن الفرق بين الغرب وباقي العالم ليس بسبب روح الاكتشاف واكتشاف العقل وبالتالي العلم. بدلا من ذلك، فإنها قصة النهب والعبودية والإبادة الجماعية. وما التاج البريطاني إلا تذكيرًا باستمراريتها، تمامًا مثل حفل التتويج الذي يمتد لـ 700 عام.■

* پرابير پوركاياستا هو المحرر المؤسس لموقع Newsclick.in، وهو منصة وسائط رقمية. ناشط في مجال العلوم وحركة البرمجيات الحرة.

About Prabir Purkayastha
Prabir Purkayastha is the founding editor of Newsclick.in, a digital media platform. He is an activist for science and the Free Software movement.

(**) كاتب في قضايا التأمين

حقوق النشر محفوظة لشبكة الاقتصاديين العراقيين. يسمح بإعادة النشر بشرط الإشارة إلى المصدر .

31 أيار 2023

http://iraqieconomists.net/ar/